مهدي أبوديب

رئيس جمعية المعلمين البحرينية... الثمن الباهظ

مرآة البحرين
Bahrain Mirror

الفهرس

المقدمة 5

في انتظار خروجه 4 ابريل..
زوجة مهدي أبوديب، هناك ثلاثة أشياء لم أنقطع عنها:
حديث نفسي معه، حزني عليه، انتظاره 11

مريم أبوديب في ترقب (الأب):
في حفل تخرجي كنت فخورة أن يُنطق اسم بابا بحضور
نائب رئيس الوزراء ووزير التربية 23

"مرآة البحرين" تحاور مهدي أبو ديب:
صحافي وحقوقي ومخرج تلفزيوني كانوا في غرفة التصوير 29

"الوطن يستحق. ابناؤنا يستحقون. الشعب يستحق ما قدمناه"

مهدي أبو ديب

مهدي أبوديب:
ما بين 7 ابريل/ نيسان 2011 و4 أبريل/ نيسان 2016

انفتح الصراع بينه وبين السلطة منذ 14 فبراير/شباط 2011، بانفتاح شهيتها على الانتقام ممن حملوا الورود لدوار اللؤلؤة؛ ليقولوا "إن القبيلة لا يمكن أن تكون دولة، وإن شعبا في الجزيرة الصغيرة يتوق للحرية".

سحقت السلطة الورود وقتلت واختطفت حامليها. كان أحد أؤلئك الذين رغبت بالانتقام منهم تحديدا. اعتقلته فرقة من الملثمين، ومن أسفل منزلٍ كان فيه خاطبوا آخرا تمكن من "اعتقال الهدف": ألقِ به من فوق السطح.

يقول رئيس جمعية المعلمين مهدي أبوديب "لم أصدق أن ذلك يمكن أن يحدث (...) لكنه حدث فعلا"، قام مقنعان اثنان برميه من أعلى السطح إلى الأرض، وعند سقطوطه قامت مجموعة متواجدة في الأسفل بركله بأحذيتهم على كل أجزاء جسمه دون هوادة.

من التعذيب الوحشي في الشارع إلى الغرف المغلقة في مبنى التحقيقات الجنائية يعاني أبوديب بعد 5 سنوات من السجن مشاكل في الرقبة والعمود الفقري وتراجع بصره، لكنه يقول اليوم: "الأهم أن روحي لم يتم إخضاعها".

حكمت عليه محكمة عسكرية بالسجن 10 سنوات، لدعوته لإضراب عام، قبل أن تقوم أخرى مدنية بتخفيفها للنصف. كان عقابا للمعلمين في شخصه كما يراه. "لقد قام المعلمون بدور كبير في ثورة 14 فبراير (...) دور لم تكن السلطة تتوقعه".

كررت حكومات ومنظمات دولية طلبات بالإفراج عنه، وقالت منظمة العفو الدولية إن "البحرين لم تبرز حتى نصف دليل يدين أبو ديب، وإن الحكم بسجنه 5 سنوات يعد مثالاً على الثمن الباهظ الذي يدفعه منتقدو الحكومة".

هل توجد قضية تستحق هذا الثمن الباهظ؟ يعلّق أبوديب "الوطن يستحق. أبناؤنا يستحقون. الشعب يستحق ما قدمناه"، إنه غير نادم على مواقفه: "الجمعية قامت بما يتوجب عليها وبما يرتضيه ضميرها وضمير المعلمين بشأن الأحداث الصعبة التي كانت تمر بها البلاد".

ظل اسمه يتردد في كل المحافل، في البحرين تقول ابنته مريم "شعرت بالفخر حينما ذكر اسم بابا "مريم مهدي عيسى أبوديب" في حفل تخرجي من "بوليتكنك" بحضور نائب رئيس الوزراء محمد بن مبارك آل خليفة ووزير التربية ماجد النعيمي، وجميع وكلاء وزارة التربية".

وبقدر شعور مريم بالفخر شعر الوزير النعيمي بالغيظ، للتو ذُكر اسم خصمه اللدود أبوديب. فمنذ تأسيس جمعية المعلمين كان النعيمي يرغب في لحظة يمكنه أن يُجهز فيها على الجمعية، ولا أنسب من حفلة الزار التي مرت بها البحرين في مارس/آذار2011: اعتقال أبوديب وحل الجمعية.

ما بين 7 أبريل/ نيسان 2011 و4 أبريل/ نيسان 2016 تفاصيل كثيرة في قصة أبوديب وعائلته، نعيد ترتيبها كما بدت: سلطة طبعت وجهها على الهمجية وشعب يدفع أثمانا باهظة من أجل حريته.

29/07/2011	"العفو الدولية" تطالب السلطات البحرينية بإطلاق سراح أبوديب والسلمان
10/9/2011	رئيس جمعية المعلمين مهدي أبوديب: قصة الاعتقال والتعذيب 2-1
11/9/2011	رئيس جمعية المعلمين مهدي أبوديب: في حضرة جلادي وزير المكارثية ماجد النعيمي 2-2
12/12/2011	مريم أبوديب في محاكمة أبيها: بابا يرتعش من البرد!
21/12/2011	في ضيافة عائلة مهدي أبوديب: من رمى قلب "أم مهدي" بحجر؟!
01/09/2012	أبوديب يخاطب المجتمع التعليمي في العام الدراسي الجديد: هدفنا الأسمى المواطنة بعيدا عن العنف
05/06/2013	تدهور صحة أبو ديب بعد شربه ماءً ملوثًا... ومطالبات بتحقيق شفاف
06/07/2013	«العفو الدولية»: البحرين لم تبرز «نصف دليل» يدين أبو ديب
24/07/2013	لجنة لانتوس في الكونجرس الأميركي تتبنى الإفراج عن «أبو ديب»
31/08/2013	عشية العام الدراسي الجديد أبو ديب يعلن عبر «مرآة البحرين» تأسيس نقابة المهن التعليمية
04/10/2013	مهدي أبو ديب في بيان خاص بيوم المعلم: أُعلنه عام التحدي، وللمعلمين: انشئوا نقابتكم
25/11/2013	«التمييز» تثبّت الحكم بسجن أبو ديب 5 سنوات وجليلة السلمان 6 أشهر
06/04/2014	«أبوديب» في «ذكرى اعتقاله» يدعو للتخلي عن عقلية الفتح... والمعلمين للدفاع عن حقوقهم..
31/08/2014	عشية العام الدراسي... أبوديب يدعو المؤسسات الأهلية لوضع تصور لدعم المتفوقين
25/10/2014	مهدي أبوديب ينال وسام المعلم الذهبي من نقابة المعلمين اللبنانية

18/02/2015	النرويج تمنح جائزة الحقوق النقابية 2015 لرئيس جمعية المعلمين البحرينية ونائبته
04/03/2015	قاضي العقاب يرفض طلب الإفراج عن "أبوديب" بعد قضائه ثلاثة أرباع مُدّة حُكمه والأخير يستأنف
23/03/2015	"الاستئناف" ترفض طلب الإفراج عن مهدي أبوديب بعد قضائه أكثر من ثلاثة أرباع مدة محكوميته
23/03/2015	فقدان الاتصال بـ "أبوديب" منذ نحو أسبوعين... وعائلته تطلب "كشف مصيره"
06/04/2015	في الذكرى الرابعة لاعتقاله... أكبر تجمع للمعلمين في بريطانيا يطالب بالإفراج عن "أبوديب"
07/04/2015	منظمة العمل الدولية تدعو للإفراج عن "أبوديب"
28/06/2015	انتخاب أبوديب أميناً عاماً مساعداً للمرة الثانية «اتحاد المعلمين العرب»
04/08/0201	"قبول عضوية جمعية المعلمين في المجلس التنفيذي للدولية للتعليم
18/06/2015	جليلة السلمان تتسلم جائزة "آرثر سفينسون الدولية"
21/08/2015	تدهور خطير لصحة مهدي أبوديب بعد حرمانه من العلاج
26/03/2016	العفو الدولية تدشن حملة العد التنازلي للإفراج عن أبوديب: تبقى 10 أيام
30/03/2016	في انتظار خروجه 4 ابريل.. زوجة مهدي أبوديب، هناك ثلاثة أشياء لم أنقطع عنها: حديث نفسي معه، حزني عليه، انتظاره
31/03/2016	مريم أبوديب في ترقب (الأب): في حفل تخرجي كنت فخورة أن يُنطق اسم بابا بحضور نائب رئيس الوزراء ووزير التربية
04/04/2016	مهدي أبوديب إلى الحرية بعد 5 سنوات من السجن
11/04/2016	"مرآة البحرين" تحاور مهدي أبو ديب: صحافي وحقوقي ومخرج تلفزيوني كانوا في غرفة التصوير

مهدي أبوديب

رئيس جمعية المعلمين البحرينية... الثمن الباهظ

"الأسرة التي يسجن ربّها تصير منكوبة.. كلّ الأسرة وليس فرد واحد فقط.. تصير أسرة غير مكتملة.. محطمة"

وحيدة القلاف

في انتظار خروجه 4 ابريل..
زوجة مهدي أبوديب، هناك ثلاثة أشياء لم أنقطع عنها:
حديث نفسي معه، حزني عليه، انتظاره

"الأسرة التي يسجن ربّها تصير منكوبة.. كلّ الأسرة وليس فرد واحد فقط.. تصير أسرة غير مكتملة.. محطمة"، هكذا تعبّر (وحيدة القلاف) عن غياب زوجها (مهدي ابوديب) رئيس جمعية المعلمين، اعتقل على خلفية الأحداث السياسية في البحرين منذ 6 ابريل 2011، وحكم بالسجن 5 سنوات، وينهي مدة محكوميته أخيراً في 4 ابريل 2016.

السجن ليس عقاب المحكوم السياسي وحده، بل عائلته بأكملها معه، الجميع يصير محبوساً في أفق هذا السجن وفي ذلّ قيوده. لا نسأل كيف يقضي المحكوم سنواته داخل السجن فقط، بل نسأل كيف تقضي عائلته سنواتها كذلك؟ قد لا يكون وضع عائلة أبوديب هو الأسوأ، ربما أخف وطأة من وضع عوائل كثيرة تعاني أوضاع مادية واجتماعية صعبة، لكنها نموذج لمعاناة هذه العوائل وفقدها وحرمانها وعذاباتها، نموذج لنكبة الكثير من العوائل البحرينية منذ مارس 2011 حتى الآن، وسط وضع سياسي يزداد تأزماً، وعدد سجناء سياسيين يكبر يوماً بعد يوم، وأفق ميت.

كيف عاشت أسرة مهدي ابوديب محنتها خلال هذه السنوات، وكيف تعيش الأسر البحرينية التي يُغيَّب السجن ربّها قسرياً على خلفية أحداث سياسية؟ كيف تُسلب علامات الفرح وتصير كل مناسبة في الأسرة غصة أخرى؟ كيف تدير الزوجة شؤون أسرتها وحدها بعد أن كانت ترمي بثقلها على زوجها؟ كيف يفقد هؤلاء الشعور بالأمان

والطمأنينة والراحة؟ كيف ترتبك مسيرتهم وتتعطل محطات حياتهم بسبب تغير وضعهم المادي والاجتماعي؟ كيف يكبر الأبناء فجأة ليجدوا أنفسهم مسؤولين بعد أن كانوا مسؤولاً عنهم؟

«مرآة البحرين» التقت وحيدة زوجة (أبوديب) التي فتحت آلام قلبها وآهاته طوال هذه السنوات الخمس. دخلت معها في تفاصيل المعاناة التي لم يسبق لها أن تحدثت حولها، ربما لأنها تشعر الآن أنه آن الأوان لترتاح، فقد قرب موعد الافراج عن (قلبها).

> عشنا قلقاً كبيراً مع انقطاع أخباره. كانت مرحلة مريعة. لم أكن أستطيع اللجوء أو طلب المساعدة من أحد

تويتر: مصدر خبرنا الوحيد

تقول وحيدة: فعلياً، لقد فقدت زوجي من 17 مارس 2011، لم نكن نعرف عنه أي شيء حتى اعتقاله في 6 ابريل 2011. لقد غادر المنزل بعد أن عرف أنه مستهدف. كان التواصل بيننا ضعيفاً جداً، تمت مداهمة منزلنا أول ليلة يوم 19 مارس، بعدها تكررت المداهمات في 29 و30. مرة واحدة فقط كنا داخل البيت، انتقلنا بعدها للسكن في بيت أختي بقينا معهم قرابة شهر.

عرفنا خبر اعتقال مهدي فجر 6 ابريل من خلال تويتر صحفي جريدة الوطن فيصل الشيخ. تأكدنا صباحاً. عشنا قلقاً كبيراً مع انقطاع أخباره. كانت مرحلة مريعة. لم أكن أستطيع اللجوء أو طلب المساعدة من أحد، مرت مواقف بي لا زالت أتذكرها، خلال فترة السلامة الوطنية، منعتني إحدى صديقاتي من دخول بيتها بسبب خوف زوجها الذي منعها من دخولي. لقد أثر ذلك في نفسي كثيراً. كنت فقط أريد أن أطمئن على زوجي المعتقل والمختفية أخباره، بعد أن أخبرني ابني أن زوجها أخبره بأنه أبوديب بخير. كان قد توارد خبر موت بعض المعتقلين. كنت أريد فقط سماع كلمة واحدة تريحني، كلمة واحدة كنت

مستعدة لشرائها بثروة: أنه بخير. لفترة طويلة صارت الناس تخاف أن تدخل بيتي، تأثر أطفالي لم يعد أحد يأتي لهم أو يستطيعوا زيارة أحد.

كان أول اتصال له بعد 27 يوماً من اعتقاله. قال لي: "أنا مهدي، أنا زين" هذا كل شيء. كذلك علمنا بخبر أولى جلسات محاكمته من خلال تويتر المحامي السيد محسن العلوي الذي ذكر أنها في تاريخ 15 يونيو 2011 في المحكمة العسكرية. لم نتسلم أي إشعار من المحكمة حول بدء المحاكمة، لكننا توجهنا إلى المحكمة في ذلك التاريخ، وكان أول مرة نراه فيه بعد 70 يوما من اعتقاله.

ذهلت كثيراً وأنا أرى أبوديب يدخل قاعة المحكمة، كان هزيلا بطريقة مريعة، رأيت حجم رأسه وكأنه كرة صغيرة، لم أحتمل رؤيته على تلك الحالة. توالت محاكماته في المحكمة العسكرية، كنت خلالها أداوم بشكل شبه يومي في القضاء العسكري، وأتذكر كان هناك شخص اسمه (خالد أبو عبدالرحمن) صار يقول لي: أنا أشفق عليك لكثرة مداومتك في القضاء العسكري ومتابعاتك اليومية. لقد ساعدني لمقابلة القاضي منصور المنصور، كذلك العقيد يوسف البوفلاسة، تحدثت معهم، لم أترك باباً إلا وطرقته. في الحقيقة لقد تعاطف معي كثيرون ممن يعملون في المحكمة العسكرية، ربما كان هذا طبيعياً في الظروف العادية لكنها لم تكن كذلك خلال فترة الطوارئ أو ما عرف بالسلامة الوطنية.

بعد فترة السلامة الوطنية جاء شهر رمضان، كنت قد قابلت العقيد (يوسف البوفلاسة) عدة مرات وسمح لي أخيراً بزيارة أبوديب عندما أخبرته بأني سأسافر للأردن للعلاج، كانت الزيارة في ليلة من ليالي شهر رمضان، ومن شدة فرحي باللقاء وبأنه سيسمح لنا بلقاء أبوديب شكرته بعدما حدد لي الوقت وأغلقت الهاتف، بعدها أدركت أن وقت الزيارة سيصادف وجبة الإفطار والناس صائمة وأنا وأطفالي سنكون صائمين، سألته: هل تسمح لنا بحمل فطورنا في الزيارة؟ فأجاب نعم أسمح لكم.

لم أصدق سماحه لنا بإحضار وجبة الفطور، في ذلك اليوم لم نكن نعرف ما نفعل، ماذا سنحمل معنا من وجبات، نحمل المشويات التي يحبها أبو حسين، نجهز العصير، وبالفعل حملنا فطورنا واتجهنا إلى القضاء العسكري، مهدي حينها كان سجيناً في القرين وجاؤوا به إلى الزيارة في القضاء العسكري. جلسنا معه في الاستراحة التي عادة ما يجلس الناس فيها، تناولنا الفطور معا، كم كان ذلك رائعاً بعد كل هذا الغياب، امتدت فترة المقابلة لساعة ونصف.

استمرت محاكمات القضاء العسكري حتى 13 أكتوبر، تحول إلى سجن جو، وتحولت قضيته إلى المحاكم المدنية. كان قد حكم عليه في القضاء العسكري بـ 10 سنوات. في يوم نطق الحكم كانت ابنتي خارج القاعة أنا فقط في الداخل، عندما صدر الحكم تجمدت أطرافي لم أستطع النهوض ونزل الحكم عليّ كالصاعقة. كنت أفكر كيف سيخرج وأبناؤنا أكبر بـ 10 أعوام. هذا يعني أن ابنتي الصغيرة التي كانت تبلغ حينها 9 سنوات سيخرج والدها وهي في 19 من عمرها. يا الله.. صرت فقط أحسب أعمار أبنائي وكم سيبلغون عندما يخرج والدهم من السجن، اختصرت كل ما سيحدث في أعمار أبنائي، كيف سينتقلون من عمر إلى آخر دون وجود والدهم.. كان انهياراً كبيراً بالنسبة لي.

عندما انتقلت القضية إلى المحاكم المدنية، كان الوضع طويل جداً ومرهق نفسياً. لقد تعبنا كثيراً خلال هذه الفترة أنا وابنتي مريم خصوصاً.

في إحدى الزيارات كان الطقس بارداً جداً. جاؤوا بأبو ديب بلباس السجن، كان يرتدي كمّاً قصيرا ونعال. لم نعتد أن نراه هكذا، لم نتمالك أنفسنا، منظر القيود في يديه آلمنا. صرنا نصارع حتى يتم السماح له بإدخال حذائه الطبي، أعطيناهم تقارير طبية حتى يتأكدوا أنه يعاني من ظهره، وبجهد كبير استطعنا أن نُدخل له حذاء. كذلك الأمر فيما يتعلق بتلقيه العلاج، تمكنا في نهاية الأمر توفير العلاج اللازم له في مستشفى السلمانية وكان يؤخذ إلى مواعيده في السلمانية، لكن هذا العلاج لم يستمر لفترة طويلة بدأنا معه في فبراير وانتهينا في سبتمبر، هم أوقفوا العلاج ولا نعرف ما الأسباب، لكن توقعنا أن السبب انتشار صوره في التويتر أثناء ذهابه لتلقي العلاج، فالناس تعرفه فتقوم بتصويره ووضع الصور في تويتر. منع من مواصلة علاجه رغم محاولاتنا الكثيرة. كل ما أمكننا هو إدخال بعض أدويته الخاصة بالأمراض المزمنة (الضغط والسكري) وذلك بفضل جهود ابنتي مريم وضغط المنظمات.

خلال السنوات الخمس الماضية جميع أبنائي مرّوا بمراحل انتقالية، ابنتي الصغرى كانت في المرحلة الابتدائية، ابنتي الثانية كانت في المرحلة الإعدادية، ابني حسين كان في الثانوية العامة، مريم كانت في السنة الثالثة بالجامعة، جميع أولادي كانوا صغارا على مواجهة الحياة، أو مواجهة حدث من هذا النوع، كانت كل هذه المسؤولية تقع على عاتقي بالدرجة الأولى ومريم بالدرجة الثانية كونها الأكبر.

حسين: الابن الذي صار رجل البيت

كان أول حدث مر علينا بعد اعتقال أبوديب هو تخرج ابننا حسين من المدرسة في العام 2011، في ذلك العام وبسبب الوضع السياسي العام لم تكن هناك أي مظاهر للفرح وحفلات التخرج، وكان هذا لصالحنا، لم تكن نفسياتنا مهيأة للفرح بأي شكل من الأشكال. فضلنا عدم وجوده في البحرين وبالفعل أرسلناه للدراسة في جامعة بالهند ورافقته أخته مريم في الرحلة الأولى.

> لم يكن الأمر سهلاً، شعرنا بافتقادنا لوجوده معنا. كنا بحاجة إلى رجل في البيت. هناك مواقف بحاجة لوجود رجل في البيت

لكن لم يكن الأمر سهلاً. شعرنا بافتقادنا لوجوده معنا. كنا بحاجة إلى رجل في البيت. هناك مواقف بحاجة لوجود رجل في البيت، لذا طلبت منه العودة من الهند ومواصلة الدراسة هنا في البحرين، سنة واحدة فقط قضاها بعيدا عني وجدت من الصعوبة مواصلة الحياة بدونه، وبذلك خسر سنته الدراسية تلك.

في مارس 2012، وبينما كان حسين في عامه الأول في الدراسة في الهند، كان الوقت صباحاً عندما فتحت عيني من النوم (عادة أترك باب غرفة نومي مفتوحاً منذ غياب أبوحسين)، لمحت رجل ينوي الدخول إلى غرفة ابنتي مريم، كان يرتدي (فانيلة) رصاصية اللون، أخذت مريم تصرخ: من؟ من؟ وفي هذه الأثناء ركض وهرب. احتجت وقتاً لأستوعب أن ما أراه حقيقة وليس حلماً، وما جعلني أتأكد أني لست في حلم أنني وجدت حقيبة يدي مفتوحة، كنت نسيتها في الصالة ذلك اليوم، ومحفظة النقود كانت للأعلى، ومبلغ من المال قد سرق منها. لقد دخل الحرامي من الباب الذي كسر من قبل قوات الأمن أثناء مداهمتها لاعتقال أبوديب، قمت لاحقا بإصلاحه. لقد غيرت هذه الحادثة مشاعري كثيراً، هزتني من الداخل، أشعرتني كم أن بيتنا أصبح متاحاً، بإمكان أي أحد يدخله ويقتحمه، فنحن بلا رجل، وهذا واحد من الأسباب التي جعلتني أطلب من حسين العودة.

غياب أبوديب من البيت وكل ما مررنا به استغرق مني وقتاً لاستوعبه. لقد امتنعت عن دخول المطبخ تماماً. أعود كل يوم من العمل وأشتري غدا جاهزاً وأحضره وأجلس مع بناتي على الأرض لآكل معهم. كنت أرى أن أي مظهر من مظاهر الحياة هو ترف. كيف نعيش وضعاً مريحاً وأبوديب في وضع غير مريح؟ كيف أقوم بأشياء هو لايستطيع القيام بها؟ تركت طاولة الطعام وأجبرت بناتي على الجلوس على الأرض. بل أكثر من هذا كنا نأكل الطبق نفسه كل يوم. كنت أريد أن أعيش نفس الظروف التي يعيشها أبو ديب في السجن.

كنا نتاول الوجبة بشكل حزين لأني أنا حزينة، لم تكن بناتي يستطعن الحديث معي لأن علامات الحزن كانت مرسومة على وجهي بشكل دائم، الآن عندما يسترجعون تلك الأيام يضحكون، لأنهما كانتا كل يوم عندما تركبان السيارة تسألان عن نوع وجبة الغداء اليوم فأجيبهما: دجاج مشوي وعيش، كل يوم لم أغير نوع الوجبة، وحتى يكون العقاب الذي أعاقب به نفسي مضاعفاً كنت أختار الدجاج رغم أننا لا نرغب به سابقا، امتدت هذه الطريقة لأشهر حتى ملت بناتي. امتدت هذه الوجبة من مايو 2011 وحتى مايو 2012، وحتى شهر رمضان ظللت على الحال نفسه وهو أول رمضان يمر علينا بدون أبو ديب، كانت وجبتنا صحن مشويات فقط لا غير.

عندما عاد ابني من الهند في مايو 2012، تفاجأ بحالنا، حتى ملابسي لم أكن اهتم بها في البيت، فجاء ابني حسين وقال: اسمعي، هذا المنظر الذي أنت عليه يتغير كامل، عليك أن تهتمي بلبسك في البيت، وعليك دخول المطبخ والطبخ لنا. كأنه أيقظني فجأة. وبالفعل مع عودة حسين دبّت الحياة في البيت من جديد.

السنة الأولى لاعتقال أبوديب بالذات، لم أكن أر النور في بيتي، كنت أرى البيت مظلماً حتى وإن كانت جميع المصابيح مفتوحة، في صعودي الدرج ونزولي أسمع وقع خطوات أبو ديب، صوت حذائه، صوته وهو يردد بعض المقاطع العزائية، كان عندما يصعد السلم يبدأ بالعزاء مع صوت حذائه كأنه إيقاع للطم الصدر، هذا قتلني، عام كامل وصوته هذا في رأسي.

مع عودة حسين كان علينا أن نبحث له عن جامعة، كنا نرغب بجامعة خاصة، وهذه الجامعات تكلف ماديا، لم أستطع تغطية مصاريف دراسته والبيت فأنا المصدر المادي الوحيد، لا أعرف أغطي متطلباته الدراسية أم متطلبات بناتي أم متطلباتي أم متطلبات

السجن التي لم أتوقعها، المبالغ المادية التي أحتاج توفيرها والمتطلبات، وضعنا المادي كان معتمدا فقط على الراتب الذي أحصل عليه.

اتخذنا القرار بأن يدرس حسين في معهد التدريب تخصص الموارد البشرية، كنت أحاول كسب الوقت حتى أستطيع ترتيب أوضاعي المادية والمعيشية. كان علي خلالها أن أوفر له سيارة خاصة. التحق حسين بالمعهد وتخرج، وكان علينا أن نبحث عن جامعة يكمل فيها تعليمه بحيث لا ترهقنا مادياً. استقر رأينا على الجامعة العربية المفتوحة وفي نفس الوقت بدأت محاولاتنا للبحث عن وظيفة له حتى يساعد نفسه من جهة في الدراسة ويخفف الأعباء التي تثقلني، وبتوفيق من الله حصل ابني حسين على عمل بداية 2015، وفي هذه السنة استطاع دخول الجامعة. ما يعني أن ابني تأخر دخوله الجامعة 4 سنوات بسبب وضعنا إثر اعتقال والده.

مريم: الابنة التي أخرجت كوامننا

مريم ابنتي الكبرى عانت الأمرين، شخصيتها قريبة جدا من شخصية والدها، عندما كان أبو حسين معنا في البيت كنت كثيرا ما اعتمد على رأيه، كان الصديق القريب لي، اعتمد دائما على مشورته، بعد سجنه فقدت كل هذا، مريم عوضت جزء كبير من هذا الفقد، أصبحت ذراعي اليمين، هي من استشيرها، هذه الأزمة أخرجت كوامن لم نكن لنعرفها من قبل، هي من قامت بفتح كوامن شخصياتنا جميعا أنا وأخوتها، أعطتنا دروسا كثيرة هذه الأزمة علمتنا كيف نكون أقوياء، علمتنا المواجهة، مريم كان لها نصيب الأسد في هذا التحدي، في البيت بالنسبة لأخوانها كان لها نصيب الأسد، مريم شخصيتها قوية جدا، رأيها سديد جدا، لديها نظرة ثاقبة إلى الأمور، تستطيع أن تحلل تحليلات صحيحة، كل هذا اكتشفتها في شخصيتها ونحن في الأزمة، لذلك امسكت بها استندت عليها،

مريم هي التي أجلس معها وأتفاكر، هي من أتشاور معها، دائما التخطيط يكون معها، مريم كان لها دورا بارز وأساسي في قضية والدها، وفي نفس الوقت كان دورها أساسي في البيت، لذا لا أستطيع الانفصال عنها ولا ساعة، إذا لم تكن معي أتواصل معها عبر الهاتف، لا ننقطع عن بعضنا. مريم قامت بدور والدها بشكل كامل. في هاتفي قائمتي المفضلة أول اسم هو مريم اسميتها " مريم نونوة العين".

تخرجت مريم من الجامعة في 2013، كانت الفرحة الأولى لنا، كنا أنا ووالدها ننتظر هذه اللحظة. كنا معاً عندما تخرجت من المدرسة. وجاء موضوع حفل التخرج، كم كان مؤلماً. عدم وجود الأب في ذلك اليوم كان صعبا، كنت أشاهد الآباء وكل منهم جاء ليحتفل بابنه

أو ابنته، وعندما يكون المتخرجون من سن مريم يكون الآباء من جيل والدها ووالدتها، كان هذا مؤلم للغاية، يتسرب إليك الإحساس بالوحدة، أن فرحتك مغتصبة. حملت لها باقة الورد، وإعلانا يحمل اسمها، وكل شيء كان عليّ وحدي. عندما تشاهد صور تخرج مريم من المدرسة بوجود والدها وتخرجها من الجامعة بدون والدها، تظهر واضحة الفرحة التي كانت تغمرنا في الصور الأولى كانت الصورة مكتملة، بينما الصورة الأخيرة غير مكتملة، هناك فراغ، في الحقيقة يوميا أقف وأتطلع في هذه الصور الموجودة في صالة منزلنا، أقوم بمقارنة تخرج مريم من المدرسة وتخرجها من الجامعة بشكل يومي، أقارن بين الفرحة المكتملة هنا والغصة المطبقة هناك. هناك مواقف كثيرة جدا حاولت ان أعوض فيها دور الأب، لا أعلم لأي مدى نجحت لكني حاولت.

دخلنا بعدها مرحلة توظيف مريم، صرنا نخاف من هذا الجانب، تقدمت ذات مرة مع تسعة أشخاص في إحدى الشركات، كانت مريم مميزة باجتيازها لامتحانات القبول بين زملائها، وعندما حان وقت التوظيف توظف زملاؤها وبقيت هي. بعدها طلب المدير مقابلتها، قال لها اعذرينا لن نستطيع توظيفك.

ذات مرة، تم قبول توظيف مريم في أحد البنوك، وظلت تنتظر كثيرا، كانوا يتعذرون بتوفير طاولة لها، جلست على مكتبها يوماً واحداً فقط، وفي اليوم الثاني سمعتْ لغطا كثيراً بين الموظفين، أحست أن هناك شيئاً غير طبيعي، اتصلت بي وأخبرتني أنها تشعر أن الشركة ستقوم بإنهاء توظيفها، وبالفعل، بعد أسبوعين من توظيفها، تعذر لها المدير بحجة ان الوظيفة نزلت عن طريق الخطأ، كان المدير متأثرا جداً لمريم، ووعدها أنه سيبحث لها عن عمل بنفسه. بقت مريم عامين كاملين بلا عمل. جميع زملائها حصلوا على وظائف إلا هي، كنا نعرف السبب: ابنة (أبوديب).

كنت أتألم من داخلي،
كل يوم وأثناء خروجي
للعمل أتألم لأجل مريم

كنت أتألم من داخلي، كل يوم وأثناء خروجي للعمل أتألم لأجل مريم، ليست لأنها ابنتي فقط بل لأنها مريم ذات الكفاءة العالية والمهارات المتميزة. ولأول مرة أفصح بأني كل يوم وأنا ذاهبة إلى عملي في المدرسة، خطواتي بحذائي أحاول أن لا تكون رنانة وواضحة كي لا تسمعها مريم وتتأثر، كيف أن والدتها تخرج للعمل وهي جالسة في البيت، كان هذا مؤلم جدا لي.

السجن: أن تكون رهين مكالمة

كذلك ابنتي (طيبة) وحفلات التفوق في المدرسة وغياب الأب عنها، هذه المواجع التي أتحدث عنها الآن صارت حديث النفس، لا أكذب أنه طوال الخمس سنوات دائماً أنا في حديث مع النفس، حتى إن ابنتي الصغيرة عندما تعود من المدرسة بأحداثها اليومية، تبدأ بسرد يومياتها والدخول في تفاصيل التفاصيل، لكن بالنسبة لي أستطيع سماعها إلى وقت معين، بعدها أعود لعالمي ولحديث النفس.

أحدث نفسي هكذا: الآن سيتصل، عندما يتصل يجب أن أقول له عن هذا الأمر، علي أن أخبره عن وضع مريم، علي أن أخبره على التحولات التي حدثت في حياة طيبة وفي حياة ليلى، يجب ان أضعه في الصورة حول تغيرات البيت، أضعه في الصورة بالنسبة لتغيرات أولاده حتى لا يتفاجأ بهذه التحولات عندما يخرج من السجن، يجب أن أنقل له التغيرات في الساحة، أضعه في الصورة حول تغيرات الناس وتحولاتها..

كل ما يقع عليه نظري يكون حديثا بيني وبين نفسي، وهذا الحديث لم ينقطع طوال الخمس سنوات، في الثلاث سنوات الأولى كنت أحلم بمعدل مرتين في الأسبوع، كنت أحلم بأننا وأبو ديب نجلس مع أولادنا نأكل، أحلم وكأننا في السيارة كأسرة واحدة خرجنا في نزهة مع بعضنا، حتى السوق كنت أحلم بأننا مع بعض، لم تكن أحلامي عن وضعه في السجن وكيف يعيش بل عن حياتنا وكيف كنا نعيش، وطوال جلوسي أتحدث مع نفسي وأي شيء تقع عيني عليه أحدث نفسي به واسترجع الذكريات بواسطتها.

كنا قد بدأنا ببناء البيت مع بعضنا البعض شاركته في أدق تفاصيل البيت، عشنا فيه لمدة خمس سنوات فقط ومن بعدها اعتقل، لذا كل زاوية في البيت تمثل ذكرى بالنسبة لي. هناك ثلاثة أشياء لم أنقطع عنها طوال السنوات الخمس الماضية: حديث النفس، الحزن، الانتظار، هذه تقاسمتها مع نفسي. السجن يعني أن تصيري محكومة بجهاز تنتظرين منه مكالمة، هذا بحد ذاته سجن، فكرت بأن أعلق الهاتف في رقبتي حتى لا يبتعد عني نهائيا، فأنا لا أعرف في أي وقت قد يتصل، لذا أضعه في أقرب نفس لي، لا يفارقني لحظة. قبلها لم

يكن الهاتف يعني لي شيئاً. العائلة التي يسجن ربّها تكون منكوبة، كل العائلة وليس فرد واحد فقط، تصير أسرة غير مكتملة، محطمة.

اكتشفنا يوم بعد يوم أننا مستهدفون في كل شيء، أبسطها موضوع دعم اللحم، عندما تقدمنا لطلب دعم اللحم قيل لنا أنتم لا يشملكم الدعم لأن رب الأسرة مسجون. حتى سوق العمل رفضوا أن يستخرجوا لي طلب الحصول على خادمة بسبب عدم وجود زوجي. طلبوا مني أن أجلب حكم المحكمة، وهناك في سجن جو لا يوجد موظف يساعد في الحصول على هذه الورقة. عندما نذهب لأي جهة حكومية، كل الأمور تتوقف.

الزيارات: الخروج من البئر عطشاناً

كانت لقاءاتنا بأبو ديب في السجن صعبة جدا ومتعبة، أنا أتعب كثيرا في اللقاء، وبالرغم من مرور خمس سنوات لكني لم أتعود على وضع السجن. نذهب ونعود بالغصة، خلال خمسين دقيقة فقط، ما هي الأحداث التي ممكن أن ننقلها إليه، من هذا الوقت يستقطع 20-15 دقيقة أسلم فيها الأمانات، عندما أدخل تكون العائلة محيطة به أولاده أخواله والدته أخواته، في هذا الوقت المتبقي ماذا يمكنني أن أقول، حتى لو أنني تكلمت كيف لبناتي الصغيرات أن يتكلمن، فقدنا التواصل بالرغم من محاولتي خلقه، الأمر في غاية الصعوبة.

بالنسبة لي الزيارة مؤلمة جدا، وكأني أرجع من بئر الماء عطشانة، قبل الزيارة نجهز أنفسنا لما سنقوله، لكن ما إن ندخل لا نستطيع أن نقول كل شيء، في كل مرة نرجع بحسرتنا، ما إن نركب السيارة حتى نكون في حالة عصبية ومزاجية سيئة. ابنتي مريم قالت لي مرة ماما ألا تلاحظين في كل مرة نرجع من زيارة البابا نكون في حالة نفسية سيئة.

أبوديب في كل زيارة كنا نرى روحه عالية جدا، لكن لم يكن هناك مجال لتوصياته، حتى هو نفسه يأتي إلينا وهو يحمل الكثير من الكلام لكن الوقت لا يسعنا، فقط كل منا يريد أن يملأ عيناه من الآخر لا أكثر من ذلك.

بعد مضي شهرين من بدء زياراتنا في سجن جو اقتنعت بأن هذا الرجل لن أستطيع ان أراه ولن أستطيع الحديث معه، ولا الجلوس معه، ولن أكون زوجة إلا عندما يعود إلى البيت، لذلك أخذت القناعة أن وجودي في الزيارة فقط لأراه بصحة وسلامة وأؤمن له أغراضه، وأرى أولاده يلتقون به، دائما كنت أردد: هذا ليس مكاني، هذا ليس مقامي. كنت أتأسى على نفسي أن أكون في هذا المكان، المضايقات التي أتعرض لها في التفتيش والاستقبال والأمانات، كل هذه ضغوطات عشتها خمس سنوات.

في عملي عانيت في بداية الأمر لأن مديرتي كانت شديدة، كنت أواجه صعوبة كبيرة في الخروج للزيارات، أحتاج أخرج قبل الوقت بثلاث ساعات حتى آخذ بناتي من المدرسة، كانت هذه معاناة كبيرة جدا. اكتشفت خلال هذه الأزمة أنني حتى لو حصلت على مساعدة من أحد فإن هذه المساعدة لن تدوم، وبطبيعة الحال كل يحمل همه ولا يستطيع حمل هم غيره.

التقاعد: تفرّغ من أجل الحبيب

تقاعدت من عملي قبل أشهر فقط، كنت أحتاج الاستئذان بشكل متكرر لبناتي وللزيارة. وسبب آخر هو أن أبو ديب سيخرج من السجن وأريد أن اتفرغ له، حتما سيكون بحاجتي كي يعود كما السابق، كلنا نعرف أن المعتقل عندما يخرج من السجن يكون متضررا نفسيا وجسديا، لذا علي أن أكون متفرغة له تماما، أريده أن يعود كما السابق. صحته ونفسيته هي الأهم عندي من أي مادة وأي عمل.

اليوم وأنا أعد الأيام الأخيرة لعودته، بدأت مشاعري تتغير، سمعت طرفة خلال الإذاعة فضحكت بصوت وأنا لوحدي بالسيارة، لأول مرة أضحك هكذا بعد خمس سنوات، مررت في السنوات الخمس الماضية بمواقف مضحكة كثيرة لكن لم تحرك ساكنا فيّ، لذا انتبهت لنفسي اليوم أن مشاعري بدأت تتغير.

بدأ العد التنازلي، وضعت في مخيلتي ماذا سأفعل ماذا سأجلب يوم الإفراج عنه، ما هي الضيافة التي سأقدمها، علامات الفرح التي سأزين بها منزلنا، كل هذه التجهيزات فكرت فيها ملايين المرات، وليست مرة واحدة فقط، جهزت البيت وغيرت فيه لتهيئة المنزل لاستقبال أبوديب، قمت بزيادة حجم المجلس لاستقبال الناس، أعيش في ترقب لتلك اللحظة التي يعود فيها أبو ديب إلى البيت.

يوم الاثنين 4 أبريل سيكون تاريخ خروجه، بقي أن أعرف هل وقت الخروج صباحاً أم مساء، لا يوجد وقت محدد، لقد هيأت نفسي لهذا اليوم، وصلنا للعد التنازلي، كنا نعد مع بعضنا هذه الشهور والأيام. نبرة صوت أبو حسين تغيرت، صار فيها حياة وأمل وحب، صرت أسمع صوته بطريقة أخرى، اليوم تغيرت مشاعري، كانت مشاعري الداخلية خط واحد كالقلب الميت، لكنها اليوم شيء آخر تماماً..

"بعد تخرجي وتقدمي للحصول على وظيفة، كان
يؤلمني رفضهم لي، في البداية لم أكن أريد أن
أصدّق أنه بسبب اسم والدي!"

مريم أبو ديب

مريم أبوديب في ترقب (الأب):

في حفل تخرجي كنت فخورة أن يُنطق اسم بابا بحضور نائب رئيس الوزراء ووزير التربية

هذا هُوَ اسمُكَ ، فاحفظِ اسْمَكَ جَيِّداً !
لا تختلفْ مَعَهُ على حَرْفٍ
ولا تَعْبَأْ برايات القبائلِ ،
كُنْ صديقاً لاسمك الأُفُقِيِّ
جَرِّبْهُ مع الأحياء والموتى
ودَرِّبْهُ على النُطْق الصحيح برفقة الغرباء..

"في حفل تخرجي من الجامعة، كنت فرحة جداً رغم غصة غياب والدي، كان سر فرحي أنني استطعت الوقوف على منصة التخرج بعد أعوام أربعة صعبة جداً، بحضور نائب رئيس الوزراء محمد بن مبارك آل خليفة ووزير التربية ماجد النعيمي، وجميع وكلاء وزارة التربية موجودون بالحفل، لقد نُطق اسم والدي أمامهم جميعا: "مريم مهدي عيسى أبوديب". شعرت باسم والدي يضج في أرجاء القاعة. أحسست بالفخر وبابتسامة أبي تحيطني، أحسست بحضور أبي أمام كل هؤلاء".

هكذا تقول مريم ابنة رئيس جمعية المعلمين مهدي أبوديب الذي طالما أزعج اسمه وزير التربية ووكلاءه. في تجربة الخمس سنوات التي اعتقل فيها والدها أيقنت مريم أن اسمها ليس شيئاً آخر غير اسم والدها، ليس فقط لأنها تشبهه في شخصيتها كما تقول والدتها، ولا لأنها لا تختلف معه على حرف، لكن لأنها بقدر ما تكبر مع هذا الإسم، فإنها تدفع ثمنه أيضاً.

الأعمار لا تضاف إلى تواريخ الميلاد، بل تضاف إلى التجارب التي نعيشها في الحياة. في البحرين أطفال ومراهقون وشباب يعيشون أكبر من أعمارهم بسنوات، ليس لأنهم أرادوا ذلك، ولا لأنهم زهدوا في سني حياتهم الأجمل أو شبعوا منها، بل لأن الوضع السياسي المُقتم فرض عليهم ذلك، لقد مسّهم في آبائهم أو إخوتهم فجعلهم في وجه مسؤولية لم يكونوا مستعدين لها بعد.

تروي مريم تجربتها خلال الأعوام الخمسة التي قضاها والدها في السجن، وقضتها عائلتها في الانتظار والترقب والقلق: جميعنا استند إلى (الماما) خلال هذه السنوات، أنا وأخوتي وحتى أبي، في البداية كان الأمر متعبا للغاية بالنسبة إليها، كان يجب أن أكون قوية، لم يكن هناك خيار ثان أمامي، إما أن أصبح قوية أو نقفل على أنفسنا الباب ونموت، كان الأمر بالنسبة لي تحديا كيف أتجاوز هذا الوضع وأتغلب عليه. عندما أرى أمي حزينة كنت أحاول التخفيف عنها بأن حجم ما أصابنا هو قليل قياسا ببعض العائلات التي فقدت أبناءها، أقول لأمي إذا حكم والدي بعشر سنوات أو خمس فهناك من هم أصغر سنا منه حكموا مثله وهناك من حكم بالمؤبد. والدي سيكمل عقوبة الخمس سنوات لكن هناك عوائل فقدت أبناءها وآباءها للأبد، لا استصغر ما حدث لنا لكن بالمقارنة لما أصاب الآخرين أجد الأمر فارقاً.

لقد عشت حياتي كلها بعيداً عن السياسة، لم يكن في قاموسي اليومي كلمات مثل سني وشيعي، هذه مفردة ليست معرّفة عندنا إلا بشكل عقائدي بحت، لا مدلول اجتماعي لها، كانت صديقاتي المقربات من الطائفتين. كنت أعيش عمري الطبيعي قبل أن أجدني أمام فوهة مدفع كبير دفعة واحدة، فصرت أكبر بأعوام. كبرت فجأة عندما شعرت أني الأخت الكبرى وأننا صرنا في وضع يحتم علي أن أتحمل مسؤولية أخوتي، صاروا هم كل حياتي، لم يعد هناك وقت عندي لأفكر صرت أعمل مباشرة كل ما يمكنني فعله. لهذا صاحبت أخي حسين في رحلته الأولى للدراسة إلى الهند كنت أشعر أنني مسؤولة عنه.

أصعب المواقف التي مررت بها مع أختي الأصغر في المرحلة الابتدائية، كان كيف أشرح لها بأن (البابا) دخل السجن لأنه (إنسان زين)، كيف أبرر لها دخوله السجن وقضاءه حكما لمدة 10 سنوات أو خمس سنوات لأنه إنسان يحب الخير ويعمل من أجل هدف سام. في الفترة الأولى من اعتقال والدي لم نكن نصطحب أختي الصغيرتين في الزيارات لتجنيبهما أثر المكان ومنظر والدي الذي لن يحتملوه.

وجدت نفسي مجبرة أن أظهر في الإعلام وأتكلم عن والدي وأتابع مع المنظمات. كانت

التغريدات وسيلتي لأنقل كل شيء عن وضع (البابا). منعتُ من الدخول إلى المحكمة بعد أن صرت أنقل كل ما يحدث في محاكمته، لست ممنوعة من باب المحكمة فقط بل حتى الاقتراب من مبنى المحكمة ممنوع. أخذت على عاتقي إيصال مظلومية والدي وقضيته إلى العالم، هناك الكثير من الحملات التي أقيمت من أجله في بريطانيا وفي أمريكا. طوال 5 سنوات وقفت إلى جانبنا منظمات دولية نكن لها كل التقدير والاحترام، لقد كنت أكلّ أحياناً وأتعب لكنهم لا يكلّون، ندين لمنظمة الإمنستي وقوفها معنا، نشكر كل من كوفا وسعيد بومدوحة وآريل وشين عملهم الدؤوب معنا. أيضاً منظمة "هيومان رايتس فيرست" و"براين دوولي" ساندوني طوال السنوات الخمس الماضية بلا كلل.

لم أبك طوال فترة
اعتقال والدي، لكني
عندما شاهدته لأول
مرة في المحكمة
العسكرية لم أتمالك
نفسي بكيت كثيرا كثيرا

لم أبك طوال فترة اعتقال والدي، لكني عندما شاهدته لأول مرة في المحكمة العسكرية لم أتمالك نفسي بكيت كثيرا كثيرا، وكأني أعوض 64 يوما عشتها قوية وصامدة. في 10 مارس 2014 وفي حادثة الهجوم على سجن جو تعرض والدي للوقوف طويلا رغم أنه يعاني من رجله ولا يستطيع الوقوف، حرم من الذهاب إلى الحمام، والدي لم يكن يتحدث عما يحدث معه في السجن، لكن في أحداث مارس قال إنها أسوأ فترة مرت عليه طوال فترة سجنه بالمقارنة بما حدث له في القضاء العسكري وسجن القرين.

أتذكر في عام 2011، عندما سافرت إلى الكويت اشتريت إلى والدي علبة شكولاته كبيرة، بقيت لمدة عامين في الثلاجة، لم يرغب أي أحد بفتحها أو تناولها، حتى انتهى تاريخ صلاحيتها وتخلصنا منها. أتذكر والدي في كل لحظة في حياتي، مرت علي لحظات كنت أتناول فيها وجبتي وفجأة أتوقف أتذكر والدي كيف يعيش في السجن وكيف يأكل وهذا كاف ليجعلني أتوقف عن الطعام. لثلاث سنوات لم أكن أستشعر أي فرحة للعيد، كانت تمر الأعياد كسائر الأيام، لم أكن أشارك أحدا فرحة العيد، بل كنت أتعمد النوم في ذلك

اليوم، أشارك أخواتي في اختيار ملابس العيد فقط لا أكثر، إلى أن قررت عائلة والدتي أن يحتفلوا بالعيد في منزلنا فصرت أشترك معهم.

مررت بمواقف احتجت فيها إلى والدي، بعض الأحيان كنت في اليوم الواحد أحتاجه لعدة مرات، بعض المواقف كنت أحتاج لسماع صوت آخر يوجهني غير صوت الماما. من أصعب الأشياء التي مرت علي خلال السنوات الخمس أني توصلت إلى مرحلة تيقنت فيها أني لا أستطيع الحديث مع والدي خلال الاتصال أو الزيارة، وبالتالي أنني لا أتمكن من إثارة أي موضوع أو نقاش معه حول أي جانب أحتاج لرأيه فيه إلا إذا كان بسيطاً وسريعاً، ذلك أن كل حديث يرتبط بسلسلة من الأحداث لا أستطيع سردها في هذا الوقت القصير، وفي الزيارة يجب أن أعطي المجال للجميع للتحدث. كان هذا أكثر ما يؤلمني، حتى وإن جهزت النقاط الضرورية التي سأتناقش فيها معه، لا يكفي الوقت.

> من الصعب أن تعلم
> بأن والدك موجود
> لكنك لا تصل إليه حين
> تحتاجه. من الصعب أن
> لا أستطيع حتى أن أرفع
> الهاتف وأطلبه أو أنقل
> له ما أريد

من الصعب أن تعلم بأن والدك موجود لكنك لا تصل إليه حين تحتاجه. من الصعب أن لا أستطيع حتى أن أرفع الهاتف وأطلبه أو أنقل له ما أريد، كثيرة المواقف التي مرت علينا أنا والماما نحتاج استشارة البابا ولا نصل إليه.

لازمني البابا في جميع مراحل تخرجي من المدرسة، عدا تخرجي من الجامعة. ربما كنت أكثر حظاً من أخواتي، أختي طيبة تخرجت من الإعدادي لم يكن والدي معها، ليلى تخرجت من الابتدائي ولم يكن والدي معها، أدرك تماماً الحسرة في قلوبهن وعيونهن وهن يرين زميلاتهن في حضن آبائهن.

بعد أربعه أعوام صعبة جداً من حياتي أكملت الجامعة وتخرجت. صعوبة الظروف التي مررت بها خلال سنواتي الجامعية جعلتني أنوي الانسحاب من أحد الفصول الدراسية، ليس بسبب الوضع المادي لكن بسبب وضع والدتي وأخواتي وأخي حسين.

بعد تخرجي وتقدمي للحصول على وظيفة، كان يؤلمني رفضهم لي، في البداية لم أكن أريد أن أصدّق أنه بسبب اسم والدي، لكن في إحدى المرات تأكدت أنه كذلك، فبعد أن أنجزت امتحان القبول جاء دور المقابلة الشخصية، سألني الشخص الذي قابلني: اسمك مريم أبو ديب، مريم ابنة من؟ فأجبته إني مريم مهدي أبوديب، قال لي مباشرة: إبراهيم خالك؟ كانت المرة الأولى التي أدخل فيها مقابلة للتوظيف وأسأل فيها عن اسمي، لم أستوعب في بداية الأمر سؤاله عن خال والدي إبراهيم، بعدها فهمت أنه ربط اسم والدي باسم خاله إبراهيم للتأكد، بعد انتهائي من المقابلة اتصلوا بي يخبروني برفض توظيفي رغم حصولي درجة عالية في امتحان التوظيف، لم أكن أريد التوصل لهذا القناعة بأنه بسبب اسمي يرفض توظيفي لكنه واقع عشته وأعيشه.

سيبقى اسمي هو اسم والدي، أنا فخورة به، لم أعبأ بما يعترضني بسبب اسمي رغم تألمي له، ولم أترك نفسي للفراغ أو الجمود، حاولت استثمار وقتي في الدراسة، درست بعض الشهادات الاحترافية، لقد انتهيت من شهادة وسأدرس الثانية الآن. اسمي بالعلم يصير أكبر.

الآن بدأنا العد التنازلي لخروج والدي، صرت أتناقش مع أخي هل نشتري له آي فون أم جلكسي، قمت بشراء (آلة صنع القهوة) لأن والدي يحب شرب القهوة وحرم منها طوال خمس سنوات، قمت بشراء حذاء له، اشترينا محفظة نقود خاصة له، بدأنا بشراء الملابس له، الهدايا الخاصة به التي حصل عليها طوال السنوات الخمس جاهزة وتنتظره، ما يشغلنا حاليا تجهيز الاحتياجات التي علينا توفيرها لعودة (اسمنا) الذي نشتاق أن نردده في كل وقت.. بابا..

"لم نقدم شيئا قبالة عوائل الشهداء، أخجل أن
أضع عيني في عين أم شهيد، خجلت وأنا أغادر
المعتقل وهناك مئات الشباب ورائي"

مهدي أبو ديب

"مرآة البحرين" تحاور مهدي أبو ديب:
صحافي وحقوقي ومخرج تلفزيوني كانوا في غرفة التصوير

ليس نادماً على شيء. لقد قضى خمس سنوات في السجن بسبب دعوته لإضراب عام في العام *2011*، وتعرّض خلال ذلك إلى وجبات ضارية من التعذيب على مدى أيام وليال سببت له آلام مزمنة في الرقبة والكتفين والظهر والعمود الفقري والركبتين، كما تراجع مستوى بصره.

لكن رغم ذلك فنقيب المعلمين، مهدي أبو ديب، الرئيس السابق لجمعية المعلمين البحرينية يقول "الأهم أن روحي لم يتم إخضاعها".

شيئان فقط لا غير ينتابه الخجل إزاءهما. يقول "حين أضع عيني في عين أم شهيد، وحين غادرت المعتقل وهناك مئات الشباب ورائي".

عشية اليوم السابق للإفراج عنه، أقام رفاقه في السجن حفلاً خاصاً لوداعه. "هناك من يتغيب عن الفعاليات كلها، لكنه حضر حفلة الوداع تلك. البعض لم يكن يستيقظ في ساعات الصباح، لكنهم في هذا اليوم بالذات طلبوا أن يتم إيقاظهم. أحاطوا بي جميعاً، كانوا يضعون رؤوسهم على كتفي ويبكون، لابد أن تتأثر أنت أيضاً وتبكي".

ويواصل أبو ديب سرد ذكريات اليوم الأخير في سجن "جو" المركزي"إلى آخر خطوة عند الباب الخارجي كانوا يمسكون بي لدرجة أن الحافلة تأخرت عن الموعد. تألمت كثيرا ولا زلت أتألم لفراقهم. أتذكرهم كلما رأيت حالة السعادة في عيون الناس بالإفراج عني. إنهم يعيشون في داخلي دائما".

البعض يخرج من السجن بتحولات كبيرة. فماذا عنه؟ سألنا أبو ديب فأجاب "الوطن يستحق. أبناؤنا يستحقون. الشعب يستحق ما قدمناه".

كغيره من القادة الذين أجبروا تحت ثقل التعذيب الوحشي على الإدلاء باعترافات لا صلة بها بالحقيقة أمام عدسات الكاميرا. وهناك شاهد أبو ديب "أولاً صحافياً أعرفه وتعرفونه. ثانيا حقوقيا كبيراً ضخما ومهما. وثالثا مخرجاً تلفزيونياً فذاً أشرف على عملية التصوير".

ويستذكر "كان بيني وبين أحد هؤلاء 3 أقدام. لقد انتقد لباسي وكأنني أخذت ثيابي من خزانتي المنزلية ولست معتقلا لديهم" على ما عبر.

لا يتطرق أبو ديب إلى هويات هؤلاء لكنه يقول "لابد أنكم تعرفون تلك الشخصيات. وأنا أحتفظ بالحق في محاسبتهم". هل هي رغبة في الانتقام؟ يعلق "لا أحمل فكرا انتقاميا لأي شخص. ما أريده فقط هو ضمان ألا تتكرر مثل هذه الممارسات في المستقبل لأناس آخرين".

ويؤكد "أنا متنازل عن حقي الشخصي تجاه من أساء لي، لكن يجب أن يتم مواجهة ومحاربة مثل هذه الممارسات والقائمين عليها"، وفق تعبيره.

كانت فرصة كبيرة، فرصة
للجلوس مع النفس
وتعلم المزيد وقراءة
المزيد، أرى أنها فرصة
لأن أقترب جدا من فئات
لم أكن قريبا منها لولا
السجن

"مرآة البحرين" حاورت مهدي أبو ديب وفيما يلي مقتطفات:

مرآة البحرين: ماذا تعني لرئيس جمعية المعلمين مهدي أبوديب 5 سنوات في السجن؟

مهدي أبو ديب: كانت فرصة كبيرة، فرصة للجلوس مع النفس وتعلم المزيد وقراءة المزيد، أرى أنها فرصة لأن أقترب جدا من فئات لم أكن قريبا منها لولا السجن. بطبيعتي أحب أن أتعلم من الجميع صغيرا أم كبيرا كان بمختلف ثقافاتهم. لقد أتاحت لي تلك السنوات الفرصة لتطوير مناطق في شخصيتي كانت غائبة عني تماما. دائما ما كنت أحاول أن أنظر بإيجابية لتلك التجربة رغم ما فيها من قسوة.

المرآة: ما هي القسوةas التي لا زلت تحملها؟

أبو ديب: أحمل إصابات في جميع أنحاء جسمي، لدي مشكلة في الرقبة والكتفين والظهر والعمود الفقري والركبتين وارتفاع ضغط الدم وتراجع مستوى الإبصار. يبقى الأهم في كل ذلك أن النواحي النفسية والروحية لم يتم اخضاعها.

المرآة: تعرضت للهجوم الشديد قبيل حملة الاعتقالات الواسعة في 2011. ما هو شعورك تجاه الأشخاص الذين تعرضوا لك؟

أبو ديب: يؤلمني أن بعض الهجوم خرج عن إطار الخصومة السياسية وتناول أهلي وتحديدا زوجتي. لكني أؤمن تماما أننا ندفع ثمن التزامنا بقضايانا الوطنية، وكل ما قيل من تعدي وتجني وكذب يذهب جفاء، لأن مثل تلك المواقف لا يمكن لها أن تنال من عزيمتنا.

كنا داخل السجن نسمع أقسى من هذا الكلام، تعرضنا للتعذيب والنيل من مقدساتنا وأهالينا وشرفنا، وكل ذلك لم يؤثر فينا، كان ينتهي بانتهاء جلسة التعذيب أو محاولات النيل منك وإخضاعك.

المرآة: البعض يخرج من السجن بتحولات كبيرة، وربما ذلك يكون طبيعيا. ويبقى يراود بعض من يقضون أحكاما مطولة هل هناك قضية يستحق التضحية من أجلها؟

أبو ديب: نعم، الوطن يستحق منا كل تضحية، أبناؤنا يستحقون ذلك، الشعب يستحق ما قدمناه. لم نقدم شيئا قبالة عوائل الشهداء، أخجل أن أضع عيني في عين أم شهيد، خجلت وأنا أغادر المعتقل وهناك مئات الشباب ورائي. فرحتنا في خروج آخر معتقل وأن يحقق الشعب ما يصبو له من مطالب.

المرآة: تبدو قويا، ألا توجد مواقف أثرت فيك؟ على سبيل المثال، إبراهيم شريف صرح أنه بكى حين أصدرت جمعيته "وعد" بيان مايو/ أيار 2011؟

أبو ديب: بكاء إبراهيم شريف كان قوة، هو كان يعتقد بأن الموقف خاطئ، وإنه لا زال يتمسك بمواقفه، لو لم يبك شريف لكنا فهمنا أنه بدأ يضعف.

المرآة: خلال 5 سنوات تلقيتم أخبار كثيرة من خارج المعتقل، أي منها أثر على مهدي أبوديب؟

أبو ديب: لا أستحضر حدثا معينا، ولكن هناك حالاتان تشعرني بالضيق، الأولى عندما أشعر أن الأخ ينال من أخيه فيما يتعلق بكل فصائل المعارضة. إن من شأن ذلك أن يضعف من قدرتنا على إنجاز مطالبنا.

أما الحالة الثانية، فكان ولا زال أمرا محزنا أن تتعامل السلطة بكل قسوة مع الشعب، تألمت كثيرا لأسلوب الرد الرسمي على مطالب الناس.

المرآة: من من الشخصيات أو الأشخاص التي تعرفت إليها داخل السجن وتجد أنها أثرت فيك؟

أبو ديب: الشباب الصغار الذين يؤمنون بقضيتهم، هؤلاء يهزونني من الأعماق، ويشعرونني أن المستقبل الذي ينتظر هذا الوطن جميل.

المرآة: كيف ودعت هؤلاء وكيف ودعوك؟

أبو ديب: عشنا معا 5 سنوات، في الليل أقاموا حفلة توديع خاصة بي، هناك من يتغيب عن الفعاليات كلها، لكنه حضر حفلة التوديع تلك. بعضهم لم يكن يستيقظ في الصباح، لكنهم طلبوا أن يتم إيقاظهم صباحا، أحاطوا بي جميعهم، هناك صغار ورجال كبار، لابد أن تتأثر وتبكي. كانوا يضعون رؤوسهم على كتفي ويبكون، إلى آخر خطوة عند الباب الخارجي كانوا يمسكون بي لدرجة أن الحافلة تأخرت عن الموعد. تألمت كثيرا ولا زلت أتألم، أتذكرهم كلما رأيت حالة السعادة في عيون الناس بالإفراج عني. حين أتنقل بحرية أو أتناول طبقا جديدا، يعيشون بداخلي دائما.

المرآة: كان نشاط العائلة في الدفاع عنك متوقعا. لكن نائب رئيس جمعية المعلمين جليلة السلمان حملت ملف مهدي أبوديب 5 سنوات، ماذا تقول لهذا الوفاء؟

أبو ديب: جليلة السلمان شريكة درب من اليوم الأول لتأسيس الجمعية، في فترات أرادت أن تبتعد لظروف معينة، لكني كنت مؤمنا أن هذه المرأة قادرة على العطاء بشكل استثنائي. عندما أصبحت أمين سر ثم نائبا للرئيس بدأت شخصيتها تظهر بالفعل. إنها إنسانة قادرة بشكل دائم على العطاء.

لكن ما قدمته السلمان بعد خروجها من السجن في الواقع فاق كل تصور، ولا أعتقد أن شخصية ثانية في غيرها من المؤسسات قدمت ما قدمته السلمان من عمل استثنائي للمنتسبين للمؤسسة.

دائما ما كنت أكرر أن الله منّ عليّ بأربع لبؤات: والدتي، زوجتي أم حسين، ابنتي مريم والأستاذة الفاضلة الجليلة جليلة السلمان، ولا أنسى هنا محاميتي الأستاذة جليلة السيد، كان شيء أكبر من محامي، كانت حريصة على زيارتي حتى بعد حكم محكمة التمييز، ووقفت إلى جانب عائلتي في كل مستجد أو ظرف قانوني خارج قضيتي.

المرآة: كيف تقرأ الانتقام الشخصي الذي تعرض له أبوديب بدءا من لحظة اعتقاله؟

أبو ديب: السلطة لم تكن تتوقع أن المعلمين سيقومون بما قاموا به، لقد قاموا بعمل

كبير، وليس من المبالغة في شيء القول إنه لا يوجد أي فئة أخرى قامت بما قام بها المعلمون. ولا أقلل هنا من عمل الآخرين لا سيما الدور لكبير لدور الكادر الطبي والتمريضي.

كانت حالة استثنائية في التلاحم الكبير بين المعلمين والجمعية أثناء حركة 2011. لقد فاجأت السلطة فأرادت أن تنتقم من هذه الحالة الكبيرة في شخص مهدي أبوديب. ضف إلى ذلك أن هناك إرثا كبيرا لدى وزارة التربية والتعليم في التعامل مع جمعية المعلمين التي لم تقبل في لحظة من اللحظات التفريط في الدفاع عن مطالب المعلمين التي كنا نتحرك من أجلها.

ولا ننسى التلاحم الكبير بين أولياء أمور الطلبة والمعلمين، كل ذلك كان مرفوضا من قبل السلطة. وهذا ما يبرر حل جمعية المعلمين دون غيرها من الجمعيات لأنها قامت بدور كبير بغض النظر عن تقييم هذا الدور من قبل السلطة أو المعارضة.

المرآة: كيف ترى خطوات الجمعية. هل حالفها الكثير من النجاح أم شابتها بعض الأخطاء؟

أبو ديب: الجمعية قامت بما يتوجب عليها وبما يرتضيه ضميرها وضمير المعلمين بشأن الأحداث الصعبة التي كانت تمر بها البلاد، لم نقم بشيء مخالف. حتى تقرير بسيوني أقر بأن إضراب المعلمين كان قانونيا، ولا ننسى أن تلك الخطوات جاءت لأجل حماية المؤسسات التعليمية والمنتسبين لها.

لكن المحكمة لم تأخذ بتقرير بسيوني وأخذت بالقرار الوزاري الذي يمنع الإضراب في المؤسسات التعليمية، وهذا القرار أقل بكثير من أن يتم إصدار حكم قاسي بحقي بالسجن 5 سنوات.

المرآة: كثير من المعارضين تعرضوا للتعذيب من أجل الإدلاء باعترافات مصورة.. هل تم إجبارك على ذلك؟

أبو ديب: نعم، أجبرت على الإدلاء باعترافات مصورة؛ لتجريم الجمعية ومهدي أبوديب والأستاذة جليلة السلمان وشخصيات وجمعيات معارضة، ورفضت بشكل كبير أن أجرم أحدا.

تم التصوير بوجود صحافي أعرفه وتعرفونه، دائما ما كنت أقول إن الصحافي مستعد لتقديم حياته من أجل حرية الكلمة وحرية شعبه، إلا أن هذا الصحافي كان مستعدا للتضحية بشعبه من أجل ذاته. كان متواجدا كذلك الحقوقي الكبير والضخم والمهم، كان بيني وبينه 3 أقدام، لقد انتقد لباسي وكأنني أخذت ثيابي من خزانتي المنزلية ولست معتقلا لديهم.

أشرف على عملية التصوير المخرج التلفزيوني الفذ، لابد أنكم تعرفون تلك الشخصيات، وأنا أحتفظ بالحق في محاسبتهم.

المرآة: هل معنى ذلك أنك تشعر برغبة في الإنتقام؟

أبو ديب: لست ممن يحمل فكرا انتقاميا لأي شخص، ما أريده فقط هو ضمان أن لا تتكرر مثل هذه الممارسات في المستقبل لأناس آخرين. أنا متنازل عن حقي الشخصي تجاه من أساء لي، لكن يجب أن يتم مواجهة ومحاربة مثل هذه الممارسات والقائمين عليها.

المرآة: كيف ترى أسرتك بعد كل هذا الغياب؟

أبو ديب: دخلت السجن في فترة كان فيها جميع أبنائي في سن حرج، أصغرهم 9 سنوات وأكبرهم 20 سنة. لا شك أنهم كانوا يفتقدونني. قبل أن أدخل للسجن، وبطبيعتي، كانت علاقتي بهم مميزة. كنا نتعامل كأصدقاء منذ طفولتهم، أشعر أني أجدهم الآن في مرحلة من النضج.

لقد تحمّلت "أم حسين" الكثير في غيابي، رأيت أصغرهم (ليلى) في مستوى من النضج أرغب فيه حقا. تعرضوا لضغوطات نفسية كبيرة لكن ذلك لم يأثر فيهم.

المرآة: التقيت في السجن الكثير ممن يتم حرمانهم من حقهم في التعليم. كيف تصف ذلك؟

أبو ديب: نعم. هناك عملية إعلامية تتحدث عن أن فرص التعليم متاحة للمعتقلين في مراحلهم المختلفة وأن إدارة السجن تحث على ذلك. هذا الكلام دعائي أكثر من كونه واقعا معاشا.

طرحت برنامجا لتدريس الطلبة عبر حصر المؤهلين لتدريس أوسع قدر ممكن من المواد التعليمية، وذلك بعمل دروس تقوية لهؤلاء الطلبة قبل خوض الامتحانات النهائية، لكن إدارة السجن اختزلت البرنامج وقامت بتضييعه. لقد تحول الأمر للأسوأ.

المرآة: كيف؟

أبو ديب: واحد من عشرات الأمثلة، أحد الطلاب الصغار الذي كان معي في السجن فوجيء بجدول الامتحان دون أن يتسلم حتى كتبه الدراسية. لا يمكن أن يمثل ذلك توجها حقيقيا لضمان التعليم. هناك المزيد من الطلاب المعتقلين ممن يجد أهلهم العراقيل لتسجيلهم، وآخرون تبقى عليهم 4 مقررات دراسية للتخرج تم إرجاعهم للصف الأول الثانوي. باختصار، أنت تقطع عليهم الطريق وتقول لهم دعوا عنكم فكرة التعليم بشكل نهائي.

المرآة: ماذا عن الدراسة الجامعية؟

أبو ديب: لم ألتق في السجن بأي طالب معتقل تخرج من الثانوية وتم تسجيله في جامعة البحرين، ولم أسمع بذلك أيضا. الدراسات ما بعد الجامعية فيها صعوبات غريبة، أتحدث عن حالتي، كنت فقط أحتاج تقديم ومناقشة رسالتي، سنة كاملة يتم المماطلة مع عائلتي لعمل توكيل يسمح باستخراج شهاداتي الجامعية. وحتى حينما تم استخراج الأوراق المطلوبة، وجدت أنه من الصعوبة استكمال دراستي

المرآة: كيف تفهم حرمان الطلبة الذين يقضون عقوبة سالبة للحرية من حقهم في التعليم؟

أبو ديب: أعتقد أن هناك استهدافا واضحا لحق التعليم لفئة معينة من الناس. وحذرنا قبل أحداث 2011 من رغبة البعض في العمل على التطهير الطائفي على جميع المستويات في المناهج والتوظيف والترقيات والتدريب والبعثات والقبول في الجامعات. وتحدثنا عن ضرورة معالجة ذلك برؤية وطنية شاملة تضمن حقوق الجميع. نحتاج أن يكون التعليم ساحة للمواطنة لا ساحة للطائفية والحزبية. لكن للأسف هناك من يريد إضعاف اللحمة الوطنية.

الحمدلله هناك أناس عقلاء من الطائفتين. على سبيل المثال، أمس كان هناك جمع من الطائفتين يحتفل مع والدتي وأرادوا أن أكون بينهم، هذه الروح التي نبحث عنها إذا كنا نرغب في الخروج من الأزمة التي تمر بها البلاد.

المرآة: طرحت فكرة لإنشاء صندوق أهلي لدعم غير المشمولين بالبعثات أو المحرومين منها بشكل متعمد... هل ترى فرصة حقيقية لذلك في ظل استمرار التضييق الرسمي؟

أبو ديب: الفرصة قائمة وموجودة وأعتقد أن الناس تعمل بها بشكل أو بآخر، كثير من الناس يدرسون بشكل شخصي بعيدا عن الصناديق أو المؤسسات الأهلية التي تعرضت هي الأخرى للتضييق بعد أن تم اشتراط التعليم الجامعي بقبول وزارة التربية والتعليم. لا يمكن القبول بأي عملية تحرم الطلاب المتفوقين من حقهم في رسم مستقبلهم وتحديد نوعية دراستهم، وهذا مقرر في قانون التعليم الذي يوجب على وزارة التربية خلق الفرص التعليمية ورعاية المتفوقين.

المرآة: دشنت الداخلية مركزا للتأهيل والتدريب بالتعاون مع دولة الإمارات. ما ذا قدم المركز للمعتقلين؟

أبو ديب: سمعنا وقرأنا عنه مثلما فعلتم في وسائل الإعلام، لا يوجد أي أثر له داخل السجن.

المرآة: كيف تصف أوضاع الأطفال في السجن؟

أبو ديب: لا يمكن أن يكون ذلك مكانهم، تخيل وجود 100 طفل لوحدهم دون وجود تجارب أكبر، سيبقى وضعهم كما هو أو ستتردى أمورهم أكثر. في المقابل لا يمكن وضعهم مع أشخاص أكبر منهم دون مراعاة لفارق السن. هناك سجناء جنائيون بعضهم متورط بقضايا كبيرة، كالتعاطي والإدمان والقضايا الأخلاقية، وبعض السجناء يعمل على استغلال الأطفال ويحاول نشر مثل تلك القضايا والممارسات بينهم.

المرآة: بماذا تنصح أولياء أمور هؤلاء الصغار لمواجهة هذه الأوضاع؟

أبو ديب: من خلال بعض المناقشات في السجن، كنا نرى أن وضع هؤلاء مع مجموعة جيدة من المؤهلين علميا ودينيا يمكن لهم أن يحقق لهم قدرا من الاستفادة من ظروف السجن. وهذا ما حدث في مبنى 10، كان معنا مجموعة من الصغار استفادت كثيرا مما نقيمه من برامج.

وفي الوقت الذي يهتم فيه أولياء الأمور بالتواصل مع أبنائهم، من الممكن أن ينصحوهم بالتقارب مع أشخاص داخل السجن يمكن لهم لعب دور الإرشاد.

المرآة: بعد 5 سنوات هل تشعر أن الناس قريبة من تحقيق تطلعاتها؟

أبو ديب: دائم الثقة في ذلك، لدي ثقة كبيرة بالله وبالناس، وعلمتنا التجارب أنه ما ضاع حق وراؤه مطالب.

مهدي أبوديب

رئيس جمعية المعلمين البحرينية... الثمن الباهظ

هل توجد قضية تستحق هذا الثمن الباهظ؟
يعلّق أبوديب "الوطن يستحق. أبناؤنا
يستحقون. الشعب يستحق ما قدمناه"، إنه غير
نادم على مواقفه: "الجمعية قامت بما يتوجب
عليها وبما يرتضيه ضميرها وضمير المعلمين
بشأن الأحداث الصعبة التي كانت تمر بها البلاد".

مرآة البحرين
Bahrain Mirror